العتابي

ونثره الفني

أ.د/ حامد ابراهيم الخطيب
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

العتـــابى
ونثـره الفـــنى

تمهـــيد

لا شك أبدا فى أن التنقيب فى باطن التراث ومضمره يأتى بالخير الكثير ، ولا شك فى أن هذا التراث ممتلىء بالخير الذى لا ينضب له معين ، وليس هذا فى مجال محدد ، أو طريق واحـــد لا طريق دونه ، وانما هذا الخير متشعب متنوع ، ولا أبالغ ان قلت : انه تنوع وتشعب بلا حدود ، ولكنه فى نهاية المطاف يخدم كله دينا وعقيدة وتوحيدا .

والباحث فى مضمر هـــذا التراث يطالعه رجال نبغوا فى فنون مختلفة ، وعلى اختلاف هذا النبوغ وتنوعه تجد أغلبهم — ان لم يكن كلهم — قد نبـــغ فى فن القـــول وتصريفه وتصـــنيفه ، ومن الذين استهواهم هذا المضمار فأعطوه ما أعطوه من فصيح لســـانهم ، ومن جمال لغتهم كلثوم بن عمرو ، الذى عرف أكثر ما عرف بـــ « العتابى »

فمن ذلكم الرجـــل ؟

هو كلثوم بن عمرو العتـــابى التغلبى ، من ولد عمرو بن كلثوم الشاعر (الجاهلى) .

والعتابى يكنى أبا عمرو ، وهو شامى من أهل قنسرين ، شـــاعر مجيد مقتدر على قول الشعر ، وهو كاتب مترسل ، وله ألفاظ ثبتت ، ورسائل تدون ، ورمى بالزندقة والرفض ، فطلبه الرشـــيد فهرب الى اليمن وقال قصيدته التى منها :

فت المـادح الا أن أستعفا
مستطقات بما يخفى الضـمائر

ماذا عسى مادح يثنى عليـك وقد
ناجاك فى الوحى تقديس وتطهير

كلم الرشيد فى أمره الفضل بن يحيى البرمكى ، فأمنه فقـال فى الفضـل :

مازلت فى معرات الموت مطرحا
يضيق عنى وسيع الرأى من حيلى

فلم تزل دائبـا تسـعى بلطفك لى
حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

وقد حظى بعد ذلك عند المـأمون ، ولطفت منزلته(١) .

أما متى ولد فذلك أمر يصعب تحقيقه ، وأين أمكن تقريبه ، فقد لقى العتابى بشارا وعرض عليه شـعره وكان حدثا ، وعاش حتى رثى المأمون وكان حينئذ شيخا جليلا ، وكانت وفاة بشار سنة ثمان وستين ومائة ، ووفاة العتابى سـنة عشرين ومائتين من الهجرة ، عليه يمكن القول : ان العتابى ولد فى أوائل القرن الثـانى الهجرى وعاش زهاء التسعين عاما(٢) .

(١) معجم الشعراء ٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٢) ١٢/٤٩٠ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .

ولم تبدأ شهرة العتابى الا بعد اتصاله بالرشيد ومدحه له ، كان ذلك بعد أن وثقت صـلته بآل برمك الذين ذكروا للرشـيد محاسن شعره ونثره ، فأعجب وألحقه ببلاطه وقد عظمت فوائده منه(٣) .

والعتابى متفنن فى الشـعر ، متقدم فى النثر ، وربما حظى شـعره بعناية لم ينل نثره الا القليل منهـا ، ومن ثم كانت تلك المحـاولة التى نظنها لبنة فى صرح يشاد .

لقد تداخل نقد شـعر العتابى مع نقد نثره ، وحين حاولنـا أن نجمع نثره فى باب النقد مفردا وجدنا بترا لنصوص ناقديه أو تشويها لقولهم وآرائهم ، فعرضنا فى ذلك الباب لشعره ونثره ، ولا شك فى أن الفائدة ستكون أعم وأوفى .

وما توفيقى الا بالله ؟

أ.د/ حـامد الخطيب

(٣) تجريد الاغانى جـ ١ قسم ٢ ص ١٤٧ .

فنـــون النـــثر
عنـد العتـــابى

تفيد المصادر التى ترجمت للعتابى أنه كان شاعرا ناثرا مترسلا ــ وأن نثره قـد تنوع حتى لم يكد يترك غرضا دون أن ينشىء فيه ، وتلك حقيقة ، ولكن الذى عثرنا عليـه كان شـذرات تدلنا على كثرة الأغراض ، وتفهم أن أكثرها قـد ضـاع ، وربما لم نوفق نحن فى الوصول الى كوامنه ومصادره •

ونثر العتابى الذى وصلنا ، أو توصلنا اليه ، يندر أو يقل فيـه وجود قطعة كاملة تمثل بدءا أو نهاية ، ولكنها ــ فى الغالب ــ تتف قصيرة متوزعة • على أن هـذه التتف ــ على قصرها وقلتها ــ لا يعدم الباحث أن يجـد فيهـا ما يدله على شخصية منشئها ، وعلى سـمات وخصائص الانشـاء فى عصره • وبمـا أن هـذا النثر قـد تداخلت أزمنته وأمكنته ، وربما مناسباته ، فقـد تغاضينا عن محاولة الترتيب والتسلسل ، بل انا لم نجـد ما يعين على ذلك ، ومن ثم سقنا ما تحت يدنا من الفنون كيفما اتفق •

١ ــ البـــــلاغة

للعتابى آراء فى البلاغة تفيد من يتعرض لهـا بالتحليل ومحاولة استنتاج قاعدة أو ايجاد لبنـات فى البناء الأول لهـذا الفن العربى ، ومن ذلك ما يذكره الجاحظ فى « البيان والتبيين »(١) فيقول :

« حدثنى صديق لى قال : قلت للعتابى : ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فان أردت اللسان الذى يروق الألسنة ويفوق كل خطيب ، فاظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل فى صورة الحق • قال : فقلت له :

قد عرفت الاعادة والحبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه اذا تحدث قال عنـد مقاطع كلامه : يا هناه ــ هذاه ، ويا هذاه ، ويا هبة ، واسمع منى ، واستمع الى ، وافهم عنى ، أولست تفهم ؟ ألست تعقل ؟• فهـذا كله وما أشبهه عى وفساد ، وللجاحظ على هـذا الكلام تعليـق عالم وطريف ، يقول :

« والعتابى حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ ، لم يعن ان كل ما أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه ، بالكلام

---

(١) ١/١١٣ ، ١٦١ ، من البيان والتبيين ص ١٧ من الصـناعتين ، ٢/١١٥ من العقـد الفريد ١/١١٥ من زهر الآداب ، وهذا مع خلف فى الرواية واسهاب واقتضاب فى سوق الخبر • والمثلان جاء على لغة من يعرب الاب والأخ اعراب المقصور مطلقا • أما اعراب ما بعدهما فعلى الحكاية • وانظر ١/٣٥ من أمثال الميدانى ط عيسى الحلبى بدون •

المغلون والمعدول عن جهته ، والمصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان » .

ثم يأتى بجملة كثيرة من الكلام غير الفصيح الذى أفهم ما فى نفس صاحبه ، وفهمه السامع لطول معاشرته الناطقين به ، ثم قال :

وانما عنى العتابى افهامك العرب حاجتك على مجارى كلام العرب الفصحاء ، وأصحاب هذه اللغة (يعنى الأعاجم) لا يفقهون قول القائل :

مكره أخاك لا بطل ، واذا عز أخاك فهن ، ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ، ذهبت الى أبو زيد ، ورأيت أبى عمرو ....» .

وفى « البيان والتبيين »(٢) أيضا يورد الجاحظ هذا الخبر :

« قال نصيب مولى عبد العزيز بن مروان :

يقول فيحسن القول بن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول

وقال آخر :

ألا رب خصم ذو فنون علوته
وان كان ألوى يشبه الحق باطله

فهذا معنى قول العتابى :

---

(٢) ٢١٩/١ ، ٢٢٠ من البيان والتبيين والالوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

البلاغة اظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل فى صورة الحق » وفى زهر الآداب يقول الحصرى(٣) :

« قال العتابى : البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحسن التأليف اذا طال » .

ويقول المبرد(٤) : « وقيل للعتابى : ما أقرب البلاغة ؟ .

قال : ألا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع » .

وحول قضية اللفظ والمعنى والتى أخذت من علماء البلاغة والنقد مأخذا ، يورد صاحب « الصناعتين »(٥) قول العتابى :

« الألفاظ أجساد ، والمعانى أرواح ، وانما تراها بعيون القلوب ، فان قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة ، وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس الى موضع يد ، أو يد الى موضع رجل لتحولت الخلقة ، وتغيرت الحلية » .

يقول العسكرى معقبا على ذلك :

وقد أحسن فى هذا التمثيل ، وأعلم أن الذى ينبغى فى صيغة الكلام وضع كل شىء منه فى موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم .

---

(٣) ١٢٧/١ زهر الآداب .

(٤) ١٢٧/٤ من الكامل ط نهضة مصر ١٥٠٢/٤ ط مؤسسة الرسالة بيروت .

(٥) ص ١٦٧ من الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

وفى « عيار الشعر »(٦) ، « قيل للعتابى : بماذا قدرت على البلاغة ؟ فقال بحل معقود الكلام ، فالشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول » . وهذا الخبر يتصل بفصاحة العتابى ، وحلاوة كلماته ، لا أنه من تعريفات البلاغة .

٢ ـ المحاورات والمناظرات

هذا من فنون النثر الطريفة عند العتابى ، والتى نتكشف من خلالها أمور كثيرة تتصل بالمجتمع والأشخاص ، كما تتصل بفنون من العلوم العربية المختلفة .

ومن المحاورات الطريفة التى تبين عن أن العتابى كان الفقد والعالم بمآخذ الشعراء ، وخبايا استفاداتهم ، ومداخل اقتباساتهم ، كان ذلك من علمه ومن فنه . يقول المسعودى(٧) .

« حديث يموت بن المزرع ، قال : حدثنى خالد عن عمرو بن بحر الجاحظ ، قال : كان كلثوم العتابى يضع من قدر أبى نواس ، فقال

---

(٦) ص ٧٨ من عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ـ والخبر ذاته فى ص ٢٢٨ من الصناعتين ط الحلبى .

(٧) عدد ٢٢ ص٢٨٠ ، عدد ٢٤ ص٢٨١ من مروج الذهب طبع الشعب ٢/٢٧٤ من مروج الذهب طبع الحلبى ، وقد نقله صاحب قصص العرب. والوصب : المرض ، والموصب منه .

له راوية أبى نواس يوما : كيف تضع من قدر أبى نواس وهو الذى يقول :

اذا نحن أثنينا عليك بصالح
فأنت الذى نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الألفاظ منا بمدحة
لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

قال العتابى :

هذا سرقه . قال : ممن ؟ قال : من أبى الهذيل الجمحى .

قال : حيث يقول ماذا :

قال : حيث يقول :

واذا يقال بعضهم نعم الفتى فابن المغيرة ذلك النعم
عقم النساء فلا يجئن بمثله ان النساء بمثله عقم

قال : فقد أحسن فى قوله :

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

قال : سرقه أيضا . قال له : ممن ؟ قال من شوشة النقعسى .

قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول :

اذا ما سقيم حل عنها وكاءها
تصعد فيه برؤها وتصوبا

وان خالطت منه الحشا خلت أنه
على سالف الأيام لم يبق موصبا

قال : فقد أحسن فى قوله :

وما خلقت الا لبذل أكفهم
وأقدامهم الا لأعواد منبر

قال : قد سرقه أيضا . قال : ممن ؟ قال : من مروان بن أبى حفصة.

قال : حيث يقول ماذا ؟ حيث يقول :

وما خلقت الا لبذل أكفهم
وألسنتهم الا لتحبير منطق
فيوما يبارون الرياح سماحة
ويوما لبذل الخاطب المتشدق

قال : فسكت الراوية ، ولو أتى بشعره كله لقال سرقه .

ويروى المسعودى أيضا طريفة أخرى من محاورات العتابى فيقول(٨) :

---

(٨) عدد ٢٥ ص ٣٣٣ ، ٣٣٧ من مروج الذهب ، وقد جاءت المحاورة هنه فى ٢٨٤/٢ من فوات الوفيات بتحقيق الشيخ محيى الدين طبع النهضة ١٩٥١ .

وجاءت أيضا فى مجلد ١ ص ٥٤١ ، ٥٤٢ من زهر الآداب طبع السعادة ولكن فى صورة مغايرة الا قليلا ، وأوردها الاغانى فى ١٠٩/١٣ ومابعدها، وفى تجريد الأغانى ج ١ قسم ٢ وأوردها الجهشيارى فى الوزراء ص ٢٦٢

« وذكر المبرد والثعالبى قالا : كان كلثوم العتابى واقفا بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكثم ، فقال له العتابى : ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى ! قال : لست بحاجب . قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان .

قال : سلكت بى غير طريقى . قال : ان الله قد ألحقك بجاه ونعمة منه ، فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت ، وبالتقتير ان كفرت ، وأنا لك اليوم خير منك لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ، ولكل شىء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل يحيى فأخبر المأمون ، فأدخل اليه العتابى ، وفى المجلس اسحاق ابن ابراهيم الموصلى ، فأمره بالجلوس ، وأقبل يسأله عن أحواله وشأنه ، فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ فى مداعبته ، فظن الشيخ أنه قد استخف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الايناس قبل الابساس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر الى اسحاق فغمزه بعينه ، ثم قال : ألف دينار ، فأتى بها فوضعت بين يدى العتابى ، ثم دعا الى المعارضة . وأغرى المأمون اسحاق بالعبث به ، فأقبل يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه ، فعجب منه ، وهو لا يعلم أنه اسحاق ، ثم قال ، أيأذن أمير المؤمنين فى مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ، فقال : افعل ، فقال له العتابى : من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمى كل بصل ، فقال له العتابى : أما النسبة فقد عرفت ، وأما الاسم فمنكر ، وما كل بصل من الأسماء ، فقال له اسحاق : ما أقل انصافك ! وما كلثوم ؟ والبصل أطيب من

النوم . قال العتابى : قاتلك الله ! ما أملحك ! ما رأيت كالرجل حلاوة ، أفيأخذ أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى به ، فقد — والله — غلبنى ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله ، فانصرف اسحاق الى منزله ونادمه بقية يومه » .

وفى تاريخ الطبرى وتجريد الأغانى(٩) جاءت هذه الزيادة ، وفيها توضيح ... قال المأمون : بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله .

فقال اسحاق : أما اذ أقررت فتوهمنى ، فقال : ما أظنك الا اسحاق الموصلى الذى تناهى الينا خبره ، قال : أنا حيث ظننت ، فأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال له المأمون ، وقد طال الحديث بينهما : أما اذ قد اتفقتما فانصرفا متنادمين ، فانصرف العتابى الى منزل اسحاق فأقام عنده » .

قال الحصرى : « ودخل العتابى على الرشيد فقال : تكلم ياعتابى ! فقال : الايناس قبل الابساس ، لا يحمد المرء بأول صوابه ، ولا يذم بأول خطئه ، لأنه بين زوره ، أو عى حصره »(١٠) .

ومن أطرف محاوراته أو مناظراته ، ما يرويه لنا صاحب بهجة المجالس قال :

---

(٩) ٢/١١٥٩ من تاريخ الطبرى — نسخة جامعة القاهرة — فؤاد الأول ، ج ١ قسم ٢ من تجريد الأغانى .

(١٠) ٤/١٠١٣ من زهر الآداب .

« جمع المأمون بين العتابى وبين أبى قرة النصرانى ، فقال لهما : اناظرا وأوجزا . فقال العتابى لأبى قرة : أسألك أم تسألنى ؟ فقال : سلنى . قال : ما تقول فى المسيح ؟ قال : أقول انه من الله — عز وجل — فقال العتابى : ان (من) تجىء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والحل من الحلو على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة ؟ قال : لا ، ولكنى لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول ؟ فقال العتابى : ان قلت : انه كالبعض من الكل جزأته ، والبارى لا يتجزأ ، وان قلت : انه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعا الى ما لا نهاية ، وهذا لا يجوز على البارى — عز وجل ، وان قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فسادا ، والبارى لا يستحيل ولا ينتقل من حال الى حال ، وان قلت : انه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذى لاشك فيه »(١١) .

ومن طرائف محاورات العتابى تلك التى أوردها صاحب « الموشح »(١٢) قال : « أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : حدثنى رجل من أصحاب المدائنى ، قال :

جاء رجل الى العتابى فقال له : ما أردت بقولك :

فى ناظرى انقباض عن جفونها وفى الجفون عن الآفاق تقصير ؟

---

(١١) ١/١٠٦ بهجة المجالس ، وأنس المجالس .

(١٢) ص ٢٤٦ من الموشح للمرزبانى .

فقال : أمتعلم أنت أم متعنت ؟ قال : بل متعنت ! قال : لا أدرى .
قال : أفتقول ما لا تدرى ؟ وألح عليه بالسؤال ، فقال : أردت أن أحكى قول بشار(١٣) :

حنت عينى عن التغامض حتى
كأن جفونها عنها قصار

يروعه السراج بكل فج
مخافة أن يكون به سرار

فلم يتهيأ لى أن ألحق هذا القول ، قال : فصار الرجل الى بشار فقال : قلت أحسن بيت ثم أفسدته بالبيت الثانى ، وأنشد البيتين ، فقال بشار : أردت أن ألحق قول المجنون :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلة العامرية أو يراح
قطاة عرها شرك فباتت تجاذبه ، وقد علق الجناح

فلم أحسن أن أقول كذلك .

ولقد أتينا ببقية هذا الحوار لما فيه من فائدة لا تخفى .

وفى «تاريخ آداب اللغة العربية»(١٤) أن العتابى طرده الرشيد لأمر ما « فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلى وهو فى منزله فسلم عليه وانتسب له ، فرحب به وقال له : ارتفع ، فقال : لم آتك

---

(١٣) ٣/٢٢٥ ديوانه . وروايته : جفت عينى عن التغميض .
(١٤) ٢/٩٢ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان .

المجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال : دابة أبلغ بها رأس عين ، فقال : ياغلام ، أعطه الفرس الفلانى ، فقال : لا حاجة لى فى ذلك ، ولكن تأمر أن تشترى لى دابة أتبلغ عليها ، فقال لغلامه : امض معه فابتع له ما يريد ، فمضى معه ، فعدل به العتابى الى سوق الحمير ، فقال الغلام : انما أمرنى أن أبتاع لك دابة ، فقال له : انه أرسلك معى ولم يرسلنى معك ، فان عملت ما أريد والا انصرف . فمضى معه فاشترى حمارا بمائة وخمسين درهما وقال : ادفع اليه ثمنه ، فدفع اليه ، فركب الحمار عريا بمرشحة عليه وبردعة ، وساقاه مكشوفتان ، فقال يحيى بن سعيد : فضحتنى ! أمثلى يحمل مثلك على هذا ؟ فضحك وقال : ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك ، ومضى الى رأس عين » .

« وحكى عثمان الوراق(١٥) : رأيت العتابى يأكل خبزا على الطريق بباب الشام ، فقلت له : أما تستحى ؟ فقال : أرأيت لو كنا فى دار فيها بقر ، تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ فقلت : لا قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر . ثم قام فوعظ وقص ودعا ، حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال : روى لنا من غير وجه أن من دخل لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ، فما بقى منهم أحد الا أخرج لسانه يومىء به نحو أنفه ويقدره ليعلم هل يبلغ أرنبة أنفه أم لا ، فلما تفرقوا قال العتابى : ألم أخبرك أنهم بقر ! ؟ » .

---

(١٥) ١٣/١٠٩ من الأغانى ، ج ١ قسم ٢ من تجريد الأغانى مع خلاف يسير . والبردعة بالدال المهملة والمعجمة : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه . والمرشحة : البطانة التى تحت لبد السرج ونحوه .

« وذكر أن العتابى كلم يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم ، فقال : وكيف لا يقل وقد تكنفنى ذل المسألة ، وحيرة الطلب ، وخوف الرد ، فقال : والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده ، وقضى حاجته » .

وقد مر بنا حواره مع امرأته الباهلية التى لامته على فقره ، وذكرت له تلميذه وراويته منصور النمرى ، وكيف امتلك الضياع وبنى داره وحلى نساءه ، كما مر أيضا حواره مع طوق بن مالك . ومر حواره مع تلميذه منصور النمرى بحضور طاهر بن الحسين . وحواره أيضا مع النمرى حين كانت امرأته فى حالة وضع متعسر . وكذلك ما حدث له مع أبى نواس وذكره الكرخ وشكواه .

« ودخل العتابى على المأمون فقال له : خبرت بوفاتك فغمتنى ، ثم جاءتنى وفادتك فسرتنى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف أمدحك ؟ أم بماذا أصفك ؟ ولا دين الا بك ، ولا دنيا الا معك ، قال : سلنى ما بدا لك ، قال : يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة »(١٦) .

ومن قصير الحوار الذى يكشف عن طبائع مجتمع ما أورده الحصرى ، قال(١٧) : « وأتى العتابى وهو بالرى رجل يودعه ، فقال : أين تريد ؟ قال بغداد ، قال : انك تريد بلدا اصطلح أهله على صحة العلانية ، وسقم السريرة ، كلهم يعطيك كله ، ويمنعك قله » .

---

(١٦) المرجعين السابقين ١٢٦/٣ من عيون الأخبار ص ٩ من المحاسن والأضداد .

(١٧) ١١٠١/٤ زهر الآداب .

ومن المحاورات التى جرت مع العتابى ما يكشف لنا عن شخص عالم متعدد المواهب واسع المعارف ، شأنه شأن معاصريه الذين لم يتركوا شيئا الا علموه أو أصابوا منه .

يقول الحصرى(١٨) : قال العتابى : سألنى الأصمعى فقال لى : أى الأذابيب أصلح للكتابة ، وعليها أصبر ؟ فقلت : ما تشف من الهجير ماؤه ، وستره عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية القشور ، الدرية الظهور ، الفضية الكسور ، قال : فأى نوع من البرى أكتب وأصوب ؟ قلت : البرية المستوية القط ، عن يمين سنها ، برية تأمن معها المجة عند المط ، الهواء فى مشقها فتيق ، والريح فى جوفها خريق ، والمداد فى خرطومها رقيق ، قال : فبقى الأصمعى شاخصا الى ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا » ، وحق له أن يكون كذلك ، فتلك مصطلحات يعلمها أرباب الأقلام ، ويحيط بأنواعها منهم الأعلام .

وفى حوار أو جواب عن سؤال يبين لنا أنه لم يكن متزوجا ، وأن تركه هذا الأمر له عنده مسألة ، فقد « قيل له : لو تزوجت ! فقال : انى وجدت مكابدة العفة أيسر على من الاحتيال لمصلحة العيال »(١٩) .

وفى بهجة المجال : « قيل للعتابى : انك تلقى الناس كلهم بالبشر ! قال : دفع ضغينة بأيسر مؤونة ، واكتساب اخوان بأيسر مبذول »(٢٠) .

---

(١٨) المرجع ٦٣٧/٣ ، ٢٥٩/٤ من العقد الفريد .

(١٩) ١٠٩/١٣ وما بعدها من الأغانى .

(٢٠) ٦٦٥/٢ بهجة المجالس .

ومن محاوراته ما قد وضع يدنا على أنه كان يعلم الفارسية ، ويعرف مميزات آدابها ، كما يرشدنا الى مدى ما كان عليه العصر من حب الكتاب والحرص على نسخه أو اقتنائه — ان أمكن — وكيف كان صبرهم وتحملهم فى سبيل ذلك • يقول صاحب الخزانة :

« ... حدثنى أبو الحسن أحمد بن محمد المهلبى ، قال : حدثنى يحيى بن الحسن بن على بن معاذ بن مسلم ، قال : انى كنت بالرقة بين يدى محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام لى فكلمته بالفارسية ، فدخل العتابى ، وكان حاضرا فى كلامنا ، فتكلم معى بالفارسية ، فقلت له : أبا عمرو ، مالك وهذه الرطانة ؟ قال : فقال لى : قدمت بلدكم هذه ثلاث قدمات ، وكتبت كتب العجم التى فى الخزانة بمرو ، وكانت الكتب سقطت الى ما هناك مع يزد جرد ، فهى قائمة الى الساعة ، فقال : كتبت منها حاجتى ثم قدمت نيسابور وجزتها بعشرة فراسخ الى قرية يقال لها ذودر ، فذكرت كتابا لم أقض حاجتى منه ، فرجعت الى مرو فأقمت أشهرا ، قال : أبا عمر ، ولم كتبت كتب العجم ؟ فقال لى : وهل المعانى الا فى كتب العجم والبلاغة ؟

اللغة لنا ، والمعانى لهم ، ثم كان يذاكرنى ويحدثنى بالفارسية كثيرا »(٢١) •

ويقول صاحب بهجة المجالس :

« قيل للعتابى : لم لا تخدم الأمير ؟ أو لا تكتب للأمير ، فقال :

(٢١) ٨٧/٣ خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادى •

لأنى رأيته يعطى رجلا ألف مثقال بلا خصلة ، ويرمى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب ، فلا أدرى أى الرجلين أكون عنده ، مع أن الذى أعطى فى ذلك أكثر من الذى آخذ — يريد مهجته — وركوب الغرر فيها معه »(٢٢) •

ولاشك أن ذلك كلام رجل يعرف بواطن الأمور ، ويقرأ عواقبها . وفى هذا الكلام أيضا ما يصف ويصم سيرة العصر •

٢ — الرسائل

وفن الرسائل عند العتابى يغلب عليه طابع الايجاز ، والاقتصار على ما يبلغه مراده ، ولربما وجدنا له رسائل هى أشبه ما تكون بالتوقيعات ، ذلك الفن الذى شاع فى عصره ، وكثر استعماله ، وافتتن فيه الخلفاء والوزراء والكتاب •

يقول الجهشيارى(٢٣) : « وحدثنى ابراهيم بن عمرو الأسدى الموصلى عن ابن جابر الكاتب قال :

كتب العتابى لأبى يوسف القاضى : أما بعد ، فخف الله الذى أنعم عليك بتلاوة كتابه ، واحذر أن يكون لسانك عدة للفتنة ، وعملك

(٢٢) ٣٤٨/١ بهجة المجالس وأنس المجالس •

(٢٣) ص ٣٦٢ من الوزراء للجهشيارى ص ٣٦٢ من طبقات الشعراء لابن المعتز •

ردءا للمعتدين ، فان أئمة الجور انما يكيدون الصالحين ، فاستصحب أهل العلم .

وفى « عيون الأخبار » وباب « كتاب الاخوان » قال(٢٤) :

« وقرأت فى كتاب العتابى : تأنينا افاقتك من سكر غفلتك ، وترقبنا انتباهك من وسن رقدتك ، وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف لنا الصبر عن وجه الغلط فيك ، فها نحن قد عرفناك حق معرفتك لطول حق من غلط فى اختيارك . والشاعر يقول :

فأيهما يا ليل أن تفعلى بنا
فآخر مهجور وأول معتب »

وفى الصناعتين يقول أبو هلال :

فى « التجنيس فى سائر الكلام » .

« وكتب العتابى الى مالك بن طوق :

أما بعد ، فاكتسب أدبا تحى نسبا ، واعلم أن قريبك من قرب منك خيره ، وأن ابن عمك من عمك نفعه ، وأن أحب الناس اليك أجداهم بالمنفعة عليك » .

---

(٢٤) ٣/٣١ من عيون الاخبار ط دار الكتب ١٣٤٨/١٩٣٠/٢ ، ١٩٣ من العقد الفريد . ولاستصحاب معناه الملازمة والمداومة .

المحتـــوى

صفحة

- **افتتاحيـة العـدد**
  أ.د/ محمد محمد فهمى عمر ــ عميد الكلية ٧
- **ظاهرة القلب المكانى فى العربية**
  أ.د/ محمد محمد فهمى عمر ٩
- **أبو موسى النحـوى**
  د/ مصطفى محمد سليم ٥١
- **ظاهرة التقاء الساكنين**
  د/ محمود شـحاته التونى ٩٥
- **من الأسرار البلاغية فى آيات التوكل على الله**
  د/ بغدادى ابراهيم الصحابى ١٦٧
- **القيم الموسيقية فى الشعر العربى**
  د/ عباده ابراهيم أحمد سـعيد ٢٠٩
- **البحث النحوى الآن مشكلة وطرق للحل**
  أ.د/ محمد ابراهيم البنا ٢٤١
- **الرسـالة الهزليـة**
  أ.د/ على أحمد عبد الهادى الخطيب ٢٥٩
- **أضواء على منهج ابن هشام الأنصارى فى الدراسات النحوية**
  أ.د/ محمد محمد فهمى عمر ٢٨٩

- من صور التنكير الواجب عنـــد النحويين
  د/ البسيونى عطية عبد الكريم ٣٩

- أضواء على منهج ابن هشام الأنصارى فى الدراسات النحوية

- المتنبى وشره الفنى
  أ.د/ حامد ابراهيم الخطيب ٢١٧

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩٨/٦٦٧٩